مفهوم الجملة في الدراسات الأسلوبية

م. د. لقاء عادل حسين

جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية

الملخص:

تناول البحث مفهوم الجملة في الدراسات الأسلوبية ، وأصل هذا المفهوم عند النحويين القدامى والمحدثين وعند اللغويين واللسانيين (اللغويين المحدثين) الذين هم سبب رئيس لظهور الأسلوبية، وقد حاولنا فيه بيان الاختلاف في المفاهيم بين الغرب والعرب، وقد قسم البحث بعد الخاتمة على ثلاثة مباحث: الأول: مفهوم الجملة وتأليفها عند النحويين، والثاني: مفهوم الجملة وتأليفها عند اللغويين واللسانيين، والثالث مفهوم الجملة وتأليفها عند الأسلوبيين، ثم الخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.

The concept of Sentence in Stylistic Studies

Dr. lqa Adel Hussein

Bagdad university /college of Islamic Sciences

The department of Arabic language

Abstract:

The research concept sentence in stylistic studies, and the origin of this concept when the old and modern grammarians and when linguists and linguists (linguists modernists) who are the major reason for the emergence of stylistic, we have tried a statement difference in perceptions between the West and the Arabs, The research is divided after the finale into three sections: the first the concept of wholesale and authored when grammarians, and the second the concept of wholesale and authored when linguists and linguists, and the third concept of wholesale and authored when Aloslobien, then the finale and the most important findings during the search.

المقدمة:

الجملة عمدة حديث علماء اللغة العربية ومداره قديمًا وحديثًا ، بأغلب فروعها من نحو ولغة وبلاغة ودلالة ، والأسلوبية علم حديث أفاد ممّا جاء به النحويون واللغويون القدماء والمحدثون، مضيفةً إليها ما جاء به البلاغيون لتخرج بأنواع أسلوبية، اعتمادها الأساس على الجملة وتكوينها، وأجزائها، وعناصرها اللغوية، وإحصاء هذه العناصر، فتسمى أسلوبية بنيوية، وأسلوبية احصائية، وأسلوبية موضوعية ، إلى آخر هذه الأنواع.

وقد وجدت أنَّ تسليط الضوء على مفهوم الجملة لدى الأسلوبيين في دراساتهم من الأمور المهمة التي يجب الاهتمام بها، فالأسلوبية والأسلوب لا يقومان إلاّ بوجود الجملة وترابطها مع شقيقاتها في نصٍّ أدبيٍّ، ثم تأتي الأسلوبية لتحلل هذا النصَّ في ضوء الجملة الواحدة وتفكيكها إلى عناصر لغوية قائمة بذاتها. وقد قسمت بحثي على ثلاثة مباحث: تناول الأول: مفهوم الجملة وتأليفها عند النحويين، والثاني: مفهوم الجملة وتأليفها عند اللغويين واللسانيين، والثالث: مفهوم الجملة وتأليفها عند الأسلوبيين، ثم الخاتمة.

مبينةً في كل مبحث نظرة العلماء للجملة، واعتماد كل منهم على الآخر، فالحديث يعتمد على الأقدم في فكرته، وإن جاءت فكرة المحدث بألفاظ أخرى غير ما جاء به الأقدم، لكنَّ الفكرة والأصل واحد. نرجو بهذا البحث إفادة الباحثين في هذا المجال، ولو بالشيء اليسير، وبيان أهمية الجملة في الدراسات قديماً وحديثاً .

المبحث الأول/ مفهوم الجملة وتأليفها عند النحويين:

مفهوم الجملة:

تكلم **ابن جني** عن الكلام والجملة والقول قائلاً : "**أما الكلامُ ؛ فكلُّ لفظٍ مستقلٍ بنفسه مفيدٍ لمعناه ، وهو الذي يسميه النحويون الجُمَل** ، نحو : زيد أخوك ، وقام محمد ، وضرب سعيد ، وفي الدار أبوك ، وصه ، ومه ، ورويد ، وحاءِ ، وعاءِ ، في الأصوات ، وحسّ ، ولَبّ ، وأفّ ، وأوّه ، فكلُّ لفظ استقل بنفسه ، وجنيت منه ثمرة معناه ، فهو كلام ، وأما القولُ ؛ فأصله أنَّه كلُّ لفظٍ مذِل به اللسان، تامّاً كان أو ناقصاً ، فالتامّ :هو المفيد أعني الجملة وما كان في معناها من نحو: صهٍ ، وإيهٍ ، والناقص : ما كان بضدّ ذلك نحو: زيد ، ومحمد ، وإن ، وكان أخوك ، إذا كانت الزمانية لا الحدثية ، فكلُّ كلامٍ قول، وليس كلُّ قولٍ كلاماً"[1] ، فجعل الجملة كلامًا وقولاً مفيداً .

ويقول : "**وأما الجملة ؛ فهي كلُّ كلامٍ مفيدٍ مستقلٍ بنفسه**"(٢) ، وقد أشار إلى المعنى ذاته في كتابه السابق قاصدًا به الكلام .

وقال **العكبري**: "**الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة يسوغ السكوت عليها عند المحققين** لثلاثة أوجه:

الأول: إنه مشتق من (الكلم) وهو الجرح ، والجرح مؤثر في نفس المجروح ،فليزم أن يكون الكلام مؤثرًا في نفس السامع.

والثاني: إنَّ الكلام يؤكد به (تكلمت) كقولك تكلمت كلامًا ، والمصدر المؤكد نائب عن الفعل والفاعل، وكما أنَّ الفعل والفاعل جملة مفيدة كذلك ما ينوب عنه الكلام .

الثالث: إنَّ الكلام ينوب عن التكليم والتكلم ، وكلاهما مشدد العين، والتشديد للتكثير، وأدنى درجاته أنْ يدلَّ على جملة تامة"(٣) ، فجعل الكلام هو الجملة ، وهذا عكس ما قال به ابن جني، ثم قال:" **والجملة هي الكلام الذي تحصل منه فائدة تامَّة** واشتقاقها من أجملت الشيء إذا جمعته، وكلَّ محتمل للتفصيل جملة ،والمبتدأ والخبر ،والفعل والفاعل بهذه الصفة ،إلاَّ أنَّه قد يعرض في الجملة يُحْوجُها إلى ما قبلها"(٤) ، فعكس الأمر .

أما **ابن هشام**؛ فقال:" الكلام هو القول المفيد بالقصد ، والمراد بالمفيد ما دلَّ على معنى يحسن السكوت عليه ، **والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ قام زيد ، والمبتدأ وخبره كـ زيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما ، نحو: ضُرِبَ اللصُ ، و أقائم الزيدان ، وكان زيد قائما ، وظننته قائما،** وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس"(٥) ، فتحدث عن الجملة من حيث أقسامها وتكوينها ، فمفهومها لديه من حيث محتواها ونوعها .

وهذا ما قال به **المحدثون** ولكن بألفاظ أخرى، معرفين الجملة بأنَّها: "**قول مؤلف من مسند ومسند إليه . فهي والمركب الإسنادي شيء واحد.** مثل: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} {الإسراء :٨١}. ولا يشترط فيما نُسميه جملةً ، أو مركباً إسنادياً ، أن يفيد معنًى تاماً مكتفياً بنفسه ، كما يشترط ذلك فيما نُسميه كلاماً. فهو قد يكون تامَّ الفائدة نحو : {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} {المؤمنون :١} ، فيسمى كلاماً أيضاً. وقد يكون ناقصها ، نحو :"مهما تفعل من خير أو شر" ، فلا يسمى كلاماً . ويجوز أن يسمى جملةً أو مركباً إسنادياً . فإن ذُكر جواب الشرط، فقيل :"مهما تفعل من خير أو شر تلاقه"، سمي كلاماً أيضاً ، لحصول الفائدة التامة"(٦) ، فجعل الجملة كل مركب سواء أفاد أم لم يفد.

وكان التفريق بين الكلام والجملة مدار كلام النحويين ، فـ "قد ذهب قسم من النحاة إلى أنَّ الكلام والجملة هما مصطلحان لشيء واحد ، فالكلام هو الجملة ، والجملة هي الكلام ... إلا أنَّ الذي عليه جمهور النحاة أنَّ الكلام والجملة مختلفان ، فإنَّ شرط الكلام الإفادة ، ولا يشترط في

الجملة أن تكون مفيدة ، وإنّما يشترط فيها إسناد ، سواء أفاد أم لم يفد ، فهي أعمُّ من الكلام ؛ إذ كلُّ كلامٍ مفيد ، وليس كلُّ جملةٍ مفيدةً."[٧]

وقد حد الدكتور مهدي المخزومي الجملة بقوله : "الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أية لغة من اللغات ، وهي المركب الذي يبين المتكلم به إنَّ صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه ، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع"[٨] ، فتابع من قبله من علماء النحو الأقدمين بجعل الجملة هي الكلام وهو ما قال به ابن جني .

ووردت عند المحدثين مصطلحات تتعلق بالجملة، كالبنية والبناء ، فـ "أما البنية الأساسية ؛فهي النظام اللغويّ التجريدي الثابت لتصور تركيب الجملة في الحالة الأولى من حالاته ، التي يعد "بناء الجملة" تنفيذًا حيًا واقعيًّا له . وبعبارة أخرى أقول : إنَّ بناء الجملة هو التركيب المنطوق الذي يوحد بين الفكرة النظرية والنطق الفعليّ . فالبناء لا يكون إلا وفقًا لصورة ذهنية سابقة . فإذا قلنا مثلاً : إنَّ الجملة الاسمية تتكون من [المبتدأ والخبر] فهذا حديث عن بنيتها الأساسية ، وأما الحديث عن أية جملة واقعية منطوقة أو مكتوبة ، فهو حديث عن بنائها"[٩].

تأليفها:

قسم ابن جني الجملة على ضربين ، هما : "جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، وجملة مركبة من فعل وفاعل ، ولا بُدَّ لكلٍّ واحدة من هاتين الجملتين إذا وقعت خبرًا عن مبتدأ من ضمير يعود إليه منها"[١٠].

وتتألف الجملة من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه ، وهما: عمدتا الكلام ، ولا يمكن أن تتألف الجملة من غير مسند ومسند إليه ـ كما يرى النحاة ـ وهما المبتدأ والخبر وما أصله مبتدأ وخبر ، والفعل والفاعل ونائبه ، ويلحق بالفعل اسم الفعل[١١] ، والجملة أربعة أقسام : فعلية ، وأسمية ، وجملة لها محل من الإعراب ، وجملة لا محل لها من الإعراب.[١٢]

وجعل الدكتور مهدي المخزومي الجملة التامة متألفة من ثلاثة عناصر هي : المسند إليه (المتحدث عنه ، المبنى عليه) ، والمسند ، والاستناد[١٣] .

المبحث الثاني/ مفهوم الجملة وتأليفها عند اللغويين واللسانيين:

مفهوم الجملة:

يقول جون ليونز : "إنَّ معنى القول محصلة معنى الجملة والسياق، وعموما فإنَّ معنى قول ما أكثر ثراء من معنى الجملة "أو الجمل" التي اشتقت منه. وفي الوقت ذاته يجب أن ندرك تماماً أنَّ المتكلمين الأصليين للغة ما ليس لديهم وسيلة للاقتراب –قدر علمنا– من معنى الوحدات التجريدية غير ذات الصلة بالسياق الموجودة في النظام اللغوي والتي يسميها اللغويون جملاً، والجمل بهذا المعنى –في الواقع– يمكن ألا يكون لها شرعية سيكولوجية على الإطلاق، فهي أبنية نظرية في علم اللغة ، وبصورة أدق في النظرية النحوية العامة، وعندما نضع أمام المتكلمين الأصليين ما نسميه جملاً ، ونختبر ردود أفعالهم "هل هذه الجملة مقبولة؟ "، و "هل هذه الجملة لها معنى تلك الجملة نفسه" فإنَّ ما نفعله في الواقع أننا نطلب منهم أن يدلوا بحكم بدعي أو مسبب على أقوال كامنة، ونستطيع –نحن اللغويين– أن نرسم فارقا مميزا بين معنى الجملة؛ ومعنى القول بأن نجرد الأول "معنى الجملة" وأن ننسب إلى الثاني "معنى القول" الجانب الذي لا يتعلق بالجملة، وهو كل شيء يتعلق بالسياقات الخاصة بالقول مثل معتقدات أشخاص معينين، ومواقفهم، والإشارة إلى كيانات معينة في المجتمع، وتقاليد التعامل المهذب بين جماعات معينة وهلم جرا، لكن لا يوجد سبب يجعلنا نفترض أن متكلمي لغة ما يستطيعون فعل ذلك بفضل قدرتهم اللغوية، فالقدرة اللغوية بمعنييها: "القدرة في لغة ما"، و"القدرة على اللغة" يحددها دائما الأداء"[١٤] .

هذا فضلاً عن كون "علم اللغة العام يتوقف عند الجملة ، فهي الوحدة الأخيرة التي يمتلك فيها علم اللغة حق الاهتمام بها ، ولو كانت الجملة ، حقاً ، ترتيباً وليس سلسلة ، لأمكن أن تقتصر كلها على الكلمات التي تكونها . وتكون من هنا وحدة أصلية ، والعكس حاصل : إنَّ الأقوال ليست إلا تعاقباً من الجمل التي تكونها ومن وجهة النظر اللغوية العامة لا يوجد للخطاب شيء غير موجود في الجملة"[١٥] ، لذلك كله "فعلم اللغة العام لا يمكنه ، إذن ، امتلاك شيء أفضل من الجملة ، لأنَّ ما وراء الجملة ليس إلّا جملاً أخرى"[١٦] .

ويقول سيمون بوتر : "الجملة هي الوحدة الأساسية للكلام ، وقد تعرف بأنَّها الحد الأدنى من اللفظ المفيد ، كما أن الكلمة تعرف بأنها الحد الأدنى من الصيغة الحرة"[١٧].

فملخص هذه التعريفات والتفريقات التي جاء بها العلماء بين القول والجملة والكلام ، إنَّ الجملة وحدة صغيرة يرتكز عليها الكلام وبترابطها مع الأخرى وتناسقها يتكون نصٌ أسلوبي تعتمد عليه الدراسات الأسلوبية في بيان مناهجها ونظريتها وتطبيقها .

وحدها أحد المحدثين حدًا مختلفًا قائلاً : "أنها من أهم المكونات الأساسية للغة . فهي وحدة تركيبية قابلة للتحليل"(١٨) .

تأليفها:

يفصِّلُ أحد الباحثين القول في تفصيل الجملة وتأليفها من خلال بيانه للتركيبية قائلاً عنها:" هي خاصية الأقوال التي يستفاد معناها من مجموع معنى مكوناتها ، مثال ذلك : حلب الراعي الغنم ، معنى هذا الكلام رهين معنى المسند والمسند إليه والمفعول به . وخلافاً لذلك تنعدم التركيبية من هذا المثال : حلب الدهر أشطره الذي معناه عرف ما في الدهر ، واختبر خيره وشرّه ، وتعتبر الأقوال التي يتجلى معناها في مكوناتها شفافة ، خلافًا لغيرها ، إذ لا بدّ من ثقافة لغوية وأدبية تمكن من الاهتداء إلى معناها"(١٩) .

وقد جعل اللسانيون للجملة بنيتين سطحية وعميقة ، وقد "درج النحاة التوليديون على افتراض بنى عميقة deep structures للإئتلافات اللغوية يحكمها منطق اللغة الذي يفترضون أنَّ كلَّ متكلمي اللغة يرثونه من آبائهم ، ففي كلِّ لغةٍ يمكن افتراض بنية تعبّر عن وقوع فعل ما من فاعل ما يقع على مفعول به ، ومن الممكن منطقيا أن يعبّر عن هذه الفكرة المنطقية بمناويل لغوية مختلفة ؛ إذ يمكن للمتكلمين تجسيد هذه الفكرة المنطقية في صورة (فاعل ـ فعل ـ مفعول به)، أو (فاعل ـ مفعول به ـ فعل) ، أو (فعل ـ فاعل ـ مفعول به) ، أو (فعل ـ مفعول به ـ فاعل) ، أو (مفعول به ـ فعل ـ فاعل) ، أو (مفعول به ـ فاعل ـ فعل) ، غير أنَّ هذه الاحتمالات الممكنة منطقيا ليست موجودة كلها في واقع اللغات ، بل كلُّ لغةٍ تضع قيودًا تمنع وقوع بعضٍ (أو ربما أغلب) هذه الاحتمالات"(٢٠).

وهناك خلاف واضح بين الاثنين (السطحية والعميقة) فـ "عندما ننظر في كثير من الجمل تبدو لنا مختلفة ، ولكن إذا نظرنا في بناها العميقة نجد أنَّها واحدة . ولعل الصورة المثلى في كلِّ اللغات أن تتفق بناها العميقة مع بناها السطحية ، ولكن هذا لا يكاد يحدث في الواقع اللغويّ . تأمل الأمثلة الآتية :

١) أفضل ثوب الحرير .
٢) أفضل كتاب الأستاذ .
٣) أفضل نوم الليل .
٤) البيت سُرق .
٥) البيت اشتريته .
٦) البيت نمت فيه .
٧) البيت بعت أثاثه .

٨) قام زيد .
٩) مات زيد .

عند التأمل في الأمثلة (١) ، و (٢) ، و (٣) نلاحظ أنَّها مشتركة في بنياتها النحوية الخارجية لكونها جميعًا تتألف من فعل ، وفاعل ، ومفعول به ، ومضاف إليه . ولكن عندما نوازن بين علاقة المضاف بالمضاف إليه في كلّ منها ، نجد أنَّ المعنى مختلف . ففي المثال الأول نجد أنَّ الإضافة بمعنى من ؛ أي : إنَّ المقصود الثوب الذي من حرير ، وفي المثال الثاني ، نجد أنَّ الإضافة بمعنى اللام ، فيكون المراد حينئذ : الكتاب الذي للأستاذ ، وفي المثال الثالث تفسر بكونها بمعنى في ، ويكون المقصود ـ بناء على ذلك ، النوم الذي في الليل . أما في المجموعة الثانية ، وهي الجمل من (٤) إلى (٧) فإن كلمة البيت تعرب مبتدأ ، ولكنَّها محولة في الواقع من بنى عميقة تظهر عند إرجاعها إلى مواقعها الأصلية"[٢١]

وهذا الشيء موجود عند النحويين العرب بما يعرف بالدلالة الظاهرة والدلالة الباطنة "ونعني بالدلالة الظاهرة المعنى الذي يعطيه ظاهر اللفظ ، وبالدلالة الباطنة المعنى الذي يعطيه فحوى الكلام، ولا يفهم من ظاهر العبارة . فقد يكون التعبير ذا دلالة ظاهرة مفهومة من ظاهر اللفظ ، مثل: (خالد شجاع) و (حاتم جواد) و {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۞الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُون}[٢٢] . وقد يكون ذا دلالة باطنة لا يعطيها ظاهر اللفظ ، وذلك كما في المجاز والكنايات والملاحن ونحوها من الكلام نحو قول امرىء القيس في وصف الليل : فَقلتُ له لمّا تمطى بصُلبِه وأردفَ إعجازاً وناءَ بكلكلِ"[٢٣] ، وللدلالة الباطنة مواضع هي : المجاز بأنواعه ، الكناية ، الملاحن، المعاريض ، التأويل ، الأمثال[٢٤].

وكلا الأمرين أي : ما عرف عند اللغويين وعند النحاة العرب أفاد منه الأسلوبيون في دراساتهم ، واستقوا ما ينفعهم ويتماشى مع نظرياتهم ، وعندما نطالع مباحثهم نجد مصطلح البنية السطحية والبنية العميقة في الأسلوبية البنيوية .

المبحث الثالث/ مفهوم الجملة وتأليفها عند الأسلوبيين :

مفهوم الجملة :

وضع بعض البلاغيين مفهومًا للجملة ، وبعضهم تحدث عنها في صدد حديثه عن الفنون البلاغية ، فنرى مثلاً الجرجانيّ يتحدث عنها في صدد حديثه عن التشبيه، قائلاً : "حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفردِ في امتناع أن تحصل به الفائدة، فلو قلت: إن تأتني وسكتَّ، لم تفدْ كما لا تفيد إذا قلت: زيد وسكتَّ، فلم تذكر اسماً آخر ولا فعلاً، ولا كان منويّاً في النفس معلوماً

من دليل الحال، ثم إن الأمرَ، وإن كان كذلك، فقد يجوز أن تُخرج الكلام عن الجزاء فتقول: تأتيني، فتعود الجملة على الإفادة، لإغنائك لها عن أن ترتبط بأخرى، وإزالتك المعنى الذي أوجب فَقْرَها إلى صاحبة لها"[٢٥] ، فالجملة عنده ما أفاد بارتباطه بغيره أو اغتنى عن الارتباط بالاستتار ، فنرى أن مفهومه نحوي بحت .

وقد وضع البلاغيون القدامى مفهومًا للجملة ، ومنهم العلوي قائلاً : "اعلم أنَّ اللفظ في دلالته على ما يدل عليه لا يخلو حاله إما أن يكون بالإضافة إلى مفرداته، أو بالإضافة إلى ما تركب منه، فالأول هو الدلالة الإفرادية، وهذا كدلالة لفظ الرجل، والأسد، والإنسان، على معانيها المفردة، فإنَّها دالّة عليها من غير إضافة أمر إليها، لا سلبا ولا إيجابا، والثاني هو الدلالة التركيبية، وهذا كدلالة قولنا: زيد قائم، وعمر خارج، فإنَّ ما هذا حاله دال على معنى مركب، وهو إضافة هذه الأحكام لتحصل من أجلها الفائدة المركبة، وهذا هو الكلام في ألسنة النحاة، ويقال له الجملة"[٢٦] ، فجعل الكلام هو الجملة ، وبتعبير آخر ، فالجملة عنده كلُّ مركب فيه فائدة ، أي : إنَّه لم يخرج كثيرًا عما قال به النحاة ، فهم أصلاً نحاة .

فالبلاغيون لم يخرجوا في فهمهم للجملة عن نظرة النحاة لها ، لكنهم سموا الركن الأول (المسند إليه) وهو نظير (الموضوع) عند النحاة، والركن الثاني (المسند) وهو نظير (المحمول)[٢٧].

وقبل الولوج بمفهوم الجملة عند الأسلوبيين ينبغي معرفة مفهوم الأسلوب لديهم فـ "الأسلوب هو مركب معدلات العناصر اللغوية في النص من وجهتين: أولاهما : لأنَّه محصلة لأكثر من عنصر لغوي، فالكلمة في نص ما إنَّما تكتسب دلالتها الأسلوبية من مجاورها من الكلمات الأخرى، لهذا فإنَّ رصد قوائم غير سياقية بالعناصر المفردة ليست له أية قيمة أسلوبية، وفي القاعدة تبدو نصوص متشابكة متضمنة غالبًا لأكثر من جملة واحدة. والأخرى: لأنَّ دراسة الأسلوب لا ينبغي أن تظل قاصرة على مجموعة من الملاحظات الصوتية والمعجمية والنحوية ، بل ينبغي أن تعتمد على ملاحظات قائمة على مستويات مختلفة، وإن لا؛ أصبح الأسلوب مجرد تقسيم فرعي لإحدى مراحل التحليل اللغوي"[٢٨]، فهذا الكلام في باطنه يعالج الجملة، أي: دون تركيب العناصر اللغوية المفردة في جمل منتظمة لا يكون هناك أسلوبًا ومن ثم لا أسلوبية، إذن مدار الأسلوب والأسلوبية حول الجمل وانتظامها.

وهذا يعني أنَّه لا يمكن للمفردة في أيِّ نصٍّ أن تكون أسلوبًا ومن ثم أسلوبية، وهذا يعني ارتكاز الأسلوبية واعتمادها على عنصر مهم هو الجملة بوصفها مركبًا من عدة عناصر أو وحدات لغوية .

أما مفهوم الجملة لديهم؛ فيقول أحد الباحثين الذين ربطوا الأسلوب بالنحو : "يدرس لغويو العربية منذ نحو ثلاثة عشر قرناً أو تزيد نظم الأداء اللغويّ في إطاراتها المتعددة: الصوت، والكلمة، والجملة. والدراسة النحوية في أساسها معيارية ، أي إنَّ الهدف منها إنما هو بيان الصواب في الاستعمال ، فالصحة اللغوية هي غاية الدراسة النحوية دون أن يكون لها التزام ببيان الأنماط المتفاوتة في "الجودة" مع اتفاقها في "الصحة"، وترك هذا الأمر لعلوم البلاغة وخاصة علم المعاني، وتسميته اختصار لعبارة "المعاني النحوية". وهي في رأيي ما تؤديه مراعاة قواعد التراكيب من وظائف "معنوية" تستبين بها علاقات الكلم بعضها ببعض. وهذا ما أطلق عليه عبد القاهر الجرجاني اسم "النظم" ... وأفضى به النظر إلى ما انتهى إليه أصحاب مدرسة النحو التحويلي التوليدي من أن اللغة وإن تكن أصواتها ومفرداتها وقواعدها متناهية فإن الجمل التي ينتجها مستعملو اللغة غير متناهية، ولكن عبد القاهر ربط ذلك بتنوع "اختيار" التراكيب لدى مستعملي اللغة"[٢٩]، وهذا يفيدنا أن أصل النظريات الأسلوبية خاصة المتعلق منها بنظم الجمل وترتيبها يعود إلى نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني ، فقد أفاد اللسانيون واضعوا الأسلوبية مجموع ما وصل إليه علماء العرب البلاغيين والنحاة ، محولين هذه الأفكار والنظريات إلى فن جديد عرف بالأسلوبية ، وجعلوا له مناهج وسياقات تعود في أغلبها إلى نظم الجملة وعلاقتها مع غيرها لتكون أسلوباً معيناً، هذا فضلاً عن بيان أن اتحاد الجمل وترتيبها من مهام النحو، أما جودة انتظامها وصحة ترتيبها؛ فمن مهام البلاغة في علم المعاني، ومن كلٍّ أفادت الأسلوبية.

ويضيف أحد الباحثين أنَّه "لا يمكننا تجاهل ـ ونحن نحاول تأصيل أسلوبية عربية ـ جهود عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) في نظرية النظم ، إذ إنَّ في تحليلاته وتنظيراته كثيرًا مما يتفق والدراسات الأسلوبية الحديثة ، ومن الطبيعي أن نقول إنَّه لم يكن يسعى إلى إقامة أسلوبية عربية ، كما تحاول الدراسات العربية الحديثة ، ولكن لا بأس من الإفادة من عمله المبدع ، أو لا بأس من استقراء آرائه، وفيها، كما قلنا، أشياء كثيرة نافعة، يمكن أن تكون أساسًا من الأسس التي تقام عليها الأسلوبية العربية"[٣٠]، فنظرية النظم كانت من الأسس التي قامت عليها الأسلوبية، وهذه النظرية تعتمد في أصولها على التكوين النحويّ للجملة ونظمها المتميز.

أما التعريف العام؛ فـ "الجملة هي بناء لغويّ يكتفي بذاته، وتترابط عناصره المكونة ترابطاً مباشراً أو غير مباشر بالنسبة لمسند إليه واحد أم متعدّد"[٣١].

ويقول بلومفيلد أحد البنيويين:" إنَّ كلَّ بنية نحوية هي قياس ، وأنَّ دراسة لغة من اللغات تتمثل في الكشف عن مجموعة العناصر التي يتعاطاها أفراد المجموعة اللسانية، ممّا يؤلف قياسات تلك اللغة التي يستعملونها"[٣٢]، فقوله يعني تعريفًا للجملة ، فالعناصر هي الكلمات، وتأليفها في

قياسات اللغة هي الجمل، أي إنَّ الجملة عنده مجموعة عناصر لغوية مؤلفة بشكل قياسيّ (نحويّ)، وبتعبير آخر هي بنية نحوية ، "وقد ركز التيار التوليدي عنايته على المستويات القصوى (les niveaux superieurs) في الكلام ، وتجسمها التراكيب والجمل مُعرضًا نسبيًا عن المستويات الدنيا (les niveaux inferieurs) ، وهي مستوى الصرف ومستوى وظائف الأصوات (la phonolgie) إذ يعتبر التوليديون أنَّ علم التركيب (la syntaxe) الذي يدرس صياغة الجملة وانتظامها بين الجمل هو الذي يستطيع النفاذ إلى محركات الكلام"(٣٣) .

وهذا كله جزء من مفاهيم الأسلوبيين وتقسيماتهم المرتبطة بالجملة والأسس التي قامت عليها الاسلوبية من خلال الجمل وترابطها،وهناك تقسيمات للسياقات الأسلوبية،هي:"= السياق النصيّ ، ويشمل : الإطار اللغويّ وهو :

- السياق الصوتي مثل نوعية الصوت وسرعته .
- السياق الصرفي .
- السياق النحوي ، مثل حجم الجمل وتداخلاتها .
- السياق المعجمي .
- السياق الخطي والإملائي .
- الإطار التركيبي ، ويشير إلى :
- بداية الجملة أو الفقرة أو القصيدة أو المسرحية ووسطها ونهايتها"(٣٤). فنلحظ أنَّ غالب هذه السياقات يعتمد اعتماداً مباشراً على الجملة ونوعها وحجمها وعلاقتها بغيرها.

ونرى **بييرجيرو** يقول : "**إنّه إذا كانت المفردات هي جسد الأسلوب ، فإن بناء الجملة هو روحه**"(٣٥) ، وهذا المفهوم لم أجده عند غيره بحسب اطلاعي .

ونرى اهتمام "بعض الدراسات الإحصائية الأسلوبية في الاعتداد إلى جانب ذلك بالظواهر النحوية ، فأخذت تقيس مثلاً نسبة الأفعال للصفات ومعدلاتها بالنسبة لعدد الكلمات في الجمل"(٣٦). ويضيف محمد عبد المطلب أنَّه "يجب التيقن من أنَّ نجاح المنهج الأسلوبي يقوم على فرضية أساسية هي كون العمل الأدبي كله دالا تقوم فيه كل جملة بوظيفة كالكلمة المفردة تمامًا ، بحيث تتجمع من وظائفه الجزئية كلية النص"(٣٧) ، فهو يعطي كل جملة في النص جزئية الترابط مع غيرها كجزئية ترابط المفردة مع غيرها ، بمعنى آخر لا تقوم الجملة بنفسها دون ترابطها مع غيرها في المنهج الأسلوبيّ .

وقد قسم الباحثون الأسلوبيون اللغة على مستويات ، فـ "المتتبع لمباحث الأسلوبية يدرك أنَّ من أهم هذه المباحث يتمثل في رصد انحراف الكلام عن نسقه المثاليّ المألوف ، أو كما يقول (ج

كوهين) (الانتهاك) الذي يحدث في الصياغة ، والذي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب، بل ربما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته، وما ذلك إلّا لأنَّ الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين الأول : مستواها المثالي في الأداء العادي والثاني: مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها. والمستوى العادي هو الذي يعتمد اللغة في تنسيق هذه العناصر، وثمرة الترابط بين ما يقول به النحاة وما يقول به اللغويون ظهور مثالية اللغة في استخدامها المألوف، وهي مثالية افتراضية أكثر منها تطبيقية واقعية ، ولعل هذه المثالية الافتراضية هي التي كانت وراء كثير من المقولات النظرية في الدراسات النحوية واللغوية كتقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف ، ثم الولوج من هذه القسمة إلى تنويعات على الاسم والفعل والحرف، من حيث الجمود والاشتقاق، أو من حيث الأصول والتجرد والزيادة ، كما كان هناك تصور خاص بالزمن وعلاقته بالفعل، كما أنَّ الحروف أصبح لها تقسيماتها المرتبطة بوظيفة أساسية في التراكيب اللغوية . كما ينضاف إلى ذلك ما قاموا به من تحديد مكانيّ لأجزاء الجملة يرتبط في معظم أحواله بالحركة الاعرابية على أواخر الكلمات، واعتماد نظرية العامل وما يتبعها من ظهور أو استتار كأساس في تشكيل هذه الأواخر"[٣٨]. لذلك تبين أن "هذه الأمور وغيرها أكدت النظرة المثالية للمستوى العادي الذي قام على رعايته النحاة واللغويون، وانتقل الأمر منهم إلى البلاغيين، فنظروا إلى النحو باعتباره العامل الأساسيّ في تأدية أصل المعنى"[٣٩].

وقد فرضت الأسلوبية بعض الأمور على دارس الأسلوب مراعاتها كان من ضمنها الجملة ومحتواها، فحددت أنَّه "وجب على دارس الأسلوب أن يحدد الخصائص، والسمات التي يراها جديرة بالقياس الكميّ، ليحصل على مؤشرات عددية، تفيده في التوصل إلى نتائج موضوعية دقيقة، ومن تلك السمات على سبيل المثال:

- استخدام كلمات معينة.
- الزيادة أو النقص في استخدام صيغ معينة، أو نوع معين من الكلمات (صفات، أفعال، ظروف، حروف جر، وغير ذلك).
- طول الكلمات المستخدمة، أو قصرها.
- طول الجمل.
- نوع الجمل. (اسمية، فعلية، بسيطة، مركبة، إنشائية، خبرية، وغير ذلك) .
- إيثار تراكيب، أو مجازات، أو استعارات معينة .

إنَّ هذه السمات، حين تحظى بنسبة عالية من التكرار، وحين ترتبط بسياقات معينة على نحو له دلالته تصبح خواص اسلوبية، تظهر في النصوص بنسب مختلفة."[٤٠]، وهذا كله عمل الاسلوبية الاحصائية.

وترى الاسلوبية في التركيب "عنصرا ذا حساسية في تحديد الخصائص التي تربطه بمبدع معين؛ لأنَّها تعطيه من الملامح ما يميزه عن غيره من المبدعين، سواء أكانوا مزامنين له أم مختلفون عنه في الزمان والمكان، وذلك يتحقق من خلال رصد حجم الجملة طولا وقصرا، وترتيب أجزائها، أو تقديم بعضها على بعض، كما يتحقق من خلال ذكر بعض عناصرها أو اغفالها، ومن خلال رصد الأدوات المساعدة التي يستعين بها المبدع كأدوات العطف والجر، وأدوات الشرط والاستثناء، والنفي والاستفهام، ذلك؛ أنَّ حجم الجملة وترتيبها والربط بين عناصرها، هو الذي يكون في النهاية التركيب الدلالي للقطعة الأدبية كنقطة البدء ترتكز على الجزئيات وصولا إلى كلية العمل الابداعي"[٤١] ، فأعطت الأسلوبية أهمية كبيرة لتركيب الجملة الواحدة وتركيبها مع غيرها من الجمل ورصدت دواخل هذا التركيب من حجم، وترتيب، وتقديم وتأخير، وذكر وحذف لبعض العناصر، والأدوات بأنواعها؛ لأن ذلك كله يوصلنا إلى العمل الإبداعي.

تأليفها:

وبعد هذا كله ينبغي معرفة أقسام الجملة لديهم وأهمية كل قسم ، فالجملة تقسم على: مسند ومسند إليه، فـ "المسند إليه: أحد ركني الجملة، فعليةً كانت أم اسمية. وقد يكون أكثر أهمية، وأكثر قيمة من الركن الثاني "المسنَد". والسبب في أهميته أنَّه يمثّل الركن الثابت في الجملة ، في حين يمثّل "المسنَد" الركن المتغير فيها. بتعبير آخر: يمثّل المسنَدُ إليه "الذاتَ" ، ويمثل المسندُ "الوصفَ" .وكما يقول علماء المنطق :"الذات أقوى في الثبوت من الوصف" ؛ ويعللون ذلك بأنَّ الجملة ـ وإن كانت تعتمد على العنصرين معًا ـ تحتاج إلى الدالّ على الثابت أشدّ وأقوى من حاجتها إلى المتحوّل العارض"[٤٢] .

ويعبر بعض الاسلوبيين عن هذين العنصرين للجملة (المسند والمسند إليه) بـ "نواة الجملة (أي ما هو مستقل في تركيبه) غير مركبة، نسميها المسند إليه (جاء). وعندما تكون مركبة من لفظتين، فنَحن نجد بالإضافة إلى المسند إليه الفاعل أو المسند (جاء "الولد")"[٤٣]

وربما تبادر إلى الذهن أنَّ المتغيرات النحوية تتركز في الحذف ومخالفة الترتيب، ولكن هناك غيرهما من الأنماط النحوية ما يكون في استعماله سمة أسلوبية. كما يتضح في إيثار استخدام الجمل الأسمية أو الجمل الفعلية، أو استخدام الجمل المعترضة بين أجزاء الجملة

الأساسية، أو استخدام بعض أنواع التوابع كالبدل المطابق أو عطف البيان، أو استخدام مكملات للجملة زائدة على ركنيها، مثل: المفعول المطلق والحال وتمييز النسبة، وإن بدا لأول وهلة أنَّ هذه المكملات متغيرات صرفية ؛ فالأول يرجع إلى صيغة المصدر غالبًا، والثاني يرجع إلى الوصف المشتق النكرة غالبًا، والثالث يرجع إلى الذوات النكرات الجامدة غالبًا. وفي الواقع أنَّه من الممكن أن ينظر إليها هذه النظرة الصرفية، فيدرس علم الأسلوب بدائلها، كأن يدرس المفعول المطلق الذي ليس مصدراً أصلياً، كاسم المصدر، أو المصدر الميمي، وما ينوب عنه من مرادفه أو ألفاظ أخرى مثل "كل" و"بعض" و"مثل" وأسماء الإشارة . ويدرس الحال التي ليست وصفاً مشتقاً والحال المعرفة، ويدرس التمييز الذي يرجع إلى وصف مشتق كما في "لله درّه فارساً" . ولكنَّ النظر فيها من حيث هي مواقع نحوية في التراكيب يختلف عن ذلك ، فالمفعول المطلق وظيفة تكميلية تتباين الأساليب في استعماله في حين لا تتباين الأساليب في استعمال الفاعل من حيث هو موقع نحوي. وكالمفعول المطلق: الحال والتمييز.(٤٤)

الخاتمة:

١. الجملة عماد الأسلوبية وركيزتها الأساسية .

٢. أفادت الأسلوبية من مفاهيم الجملة عند النحويين واللغويين واللسانيين الذين كان غالبهم من علماء البلاغة .

٣. اختلاف مفهوم الجملة باللفظ وليس بالفكرة بين اللسانيين الذين هم أصل ظهور الأسلوبية وبين النحويين .

٤. اعتماد دلالة الجملة ظاهرا وباطنا في الدراسات الاسلوبية .

٥. اعتماد تفكيك الجملة إلى عناصر لغوية، وإحصاء أعداد الجمل، وتفصيل طولها وقصرها في الدراسات الأسلوبية.

٦. اختلاف مفهوم الجملة عند الأسلوبيين الغرب عن مفهومها لدى العرب .

٧. بقاء اعتماد الاسناد والاسناد إليه في تركيب الجملة عند الجميع من لغويين ولسانيين ونحويين واسلوبيين.

الهوامش:

(١) الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب – بيروت ، د.ت ، ١٧/١ .

(٢) كتاب اللمع في العربية : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق فائز فارس ، دار الكتب الثقافية – الكويت ، ١٩٧٢ ، ص٢٦ .

(٣) اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) ، تحقيق : غازي مختار طليمات ، دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ١/ ٤١ ، ٤٢ .

(٤) اللباب : ١٣٨/١ ، ١٣٩ .

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر – بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٥ ، ص٤٩٠ .

(٦) جامع الدروس العربية موسوعة في ثلاثة أجزاء : الشيخ مصطفى الغلاييني ، ضبطه وخرج آياته وشواهده الشعرية أ.محمد فريد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ـ مصر ، د.ت ، ٢٠١/٣ .

(٧) الجملة العربية تأليفها وأقسامها : د.فاضل صالح السامرائي ، منشورات المجمع العلمي ـ بغداد ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص٣ ، ٤ .

(٨) في النحو العربي نقد وتوجيه : د. مهدي المخزومي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ـ بغداد ، ط٢ ، ٢٠٠٥م ، ص٣٥ .

(٩) بناء الجملة العربية : د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص٢٣٧ .

(١٠) اللمع : ٢٧ .

(١١) الجملة العربية : ٥ .

(١٢) جامع الدروس العربية : ٢٠١/٣ .

(١٣) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ٣٥ .

(١٤) اللغة وعلم اللغة : جون ليونز ، دار النهضة العربية ، ط١ ، د.ت ، ص٢٢٧ ،٢٢٨ .

(١٥) التحليل البنيوي للقصة القصيرة : رولان بارت ، ترجمة د. نزار صبري ، مراجعة د. مالك المطلبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ـ بغداد ، ١٩٨٦م ، ص٢٩ .

(١٦) التحليل البنيوي : ٢٩ ، ٣٠ .

(١٧) بناء الجملة العربية: ٣٠ نقلاً عن (Simon potter , modern linguistics p. 104 (London 1967) .

(١٨) مفهوم الجملة في اللسانيات والنحو العربي : د. محمد خير الحلواني ، مجلة المناهل : تصدرها وزارة الشؤون الثقافية ، الرباط ـ المغرب ، العدد السادس والعشرون ، السنة العاشرة ، جمادي الأولى ١٤٠٣هـ/مارس ١٩٨٣م ، ص١٩٤ .

(١٩) مدخل لفهم اللسانيات إيبستيمولوجيا أولية لمجال علمي : روبير مارتان ، ترجمة د. عبد القادر المهيري ، مراجعة د. الطيب البكوش ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص٢٠٥ .

[٢٠] مدخل إلى اللسانيات : د. محمد محمد يونس علي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

[٢١] مدخل إلى اللسانيات : ٨٨ ، ٨٩ .

[٢٢] سورة المؤمنون : الآية ١و٢ .

[٢٣] الجملة العربية والمعنى : د. فاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص٢٢ ، والبيت في ديوان امرِئ القيس: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٥٤٥ م) ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م ، ص٤٨ ، وفيه (لما تَمَطَّي) .

[٢٤] ينظر الجملة العربية والمعنى : ٢٤ـ ٢٩ .

[٢٥] أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة ، د.ت ، ص ١١١ .

[٢٦] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي العلويّ (ت ٧٤٥هـ) ، المكتبة العنصرية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ ، ٧/٢ .

[٢٧] ينظر الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : د. نعمة رحيم العزاوي ، مجلة المورد ، العدد رقم ٤.٣ ، ١ أكتوبر ١٩٨١م ، ص١١٠ ، ١١١ .

[٢٨] علم الأسلوب مبادئه واجراءاته : د. صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص٢٤٣ .

[٢٩] الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية : د. محمد عبد الله حبر ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ط١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص١٥ .

[٣٠] علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات: د.محمد كريم الكواز ، جامعة السابع من أبريل، الجمهورية العربية الليبية ، ط١ ، ١٤٢٦، ص٢١.

[٣١] دليل الدراسات الاسلوبية : د. جوزيف ميشال شريم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص٤٠ .

[٣٢] الاسلوبية والاسلوب : د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط٣ ، د.ت ، ص٢٠٨ .

[٣٣] المصدر نفسه : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

[٣٤] علم الأسلوب مبادئه واجراءاته : ٢٤٤ ،٢٤٥ ، نقلاً عن

ENKVIST,N,E.RIK.SPENCER,JOHN.GREGORY,MICTHEL:"linguisticay Estilo".Trad.Madrid,1974,p45.

[٣٥] الأسلوبية : بييرجيرو ، ترجمة د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر ، ط٢ ، ١٩٩٤م ، ص٦٣ .

[٣٦] علم الأسلوب مبادئه واجراءاته : ٢٦٨ .

[٣٧] البلاغة والأسلوبية : د. محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة ، ص٢٧٩ .

(٣٨) البلاغة والأسلوبية ص١٩٨ عن نظرية اللغة والنقد العربي د. عبد الحكيم راضي ص١٩١ فصلا المثالي والمألوف ، وقد راجعت الكتاب ووجدت النص ملخص ما فُهم من خلال الحديث في الفصل كاملا وليس نقلاً تاماً أي أن العبارات لصاحب البلاغة والأسلوبية بناءًا على ما ذكره صاحب كتاب نظرية اللغة .

(٣٩) البلاغة والأسلوبية: ١٩٨ .

(٤٠) علم الأسلوب : محمد كريم ، ص١٠٥ .

(٤١) البلاغة والأسلوبية : ١٤٥ .

(٤٢) البلاغة في ثوبها الجديد علم المعاني : د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ١٢٣/١ .

(٤٣) دليل الدراسات الاسلوبية : ٣٩ .

(٤٤) الاسلوب والنحو : ١٩، ٢٠ .